

الدكتور كيفن إي. فريديريك، الوالدنسيون، المحاضرة 1ب جذور اعتناق والدو المسيحية (1172-1207 م)

كيفن فريديريك وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور كيفن فريديريك، الذي يدرس تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة الأولى، جذور اعتناق والدو.

صباح الخير. اسمي كيفن فريديريك. أنا راعي كنيسة والدينسيان المشيخية في فالديز، كارولينا الشمالية.

لقد خدمت هذه الجماعة لمدة 10 سنوات تقريبًا. وكجزء من دوري مع هذه الجماعة، عندما أتيت إلى هنا أدركت أن هناك شعورًا حقيقيًا بالحاجة إلى تطوير تاريخ شعب الوالدنسيان بسبب التراث الغني العظيم الذي تستمد منه هذه الجماعة خلفيتها. أكثر من 50٪ من أعضاء هذه الكنيسة من أصل والدينسي.

ومن هذا المنظور، قمت بإعداد عدد من الخطب حول تاريخ حركة والدينسيان. وسوف نبدأ ببيت والدو مؤسس حركة والدينسيان. ونحن نطلق عليه في الواقع اسم والدو.

كان فالديز اسمه بالفرنسية، وهو رجل كان له دور فعال في تشكيل هذه الحركة. ولكن أود أولاً أن أبدأ بقراءة الكتاب المقدس من لوقا 18. هذا هو أحد ثلاثة كتب مقدسة محورية مهمة استقى منها والدو.

من لوقا 18 سأله رئيس: يا معلم صالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا الله وحده. أنت تعرف الوصايا: لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك. فقال: هذه كلها حفظتها منذ حدثي.

فلما سمع يسوع هذا قال له: ينقص شيء واحد: بيع كل ما تملك ووزعه على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء. ثم تعال واتبعني.

فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنياً جداً. فنظر إليه يسوع وقال: ما أصعب أن يدخل أصحاب الأموال ملكوت الله. حقاً إنه من الأسهل أن يمر الجمل من ثقب الإبرة من أن يدخل الغني ملكوت الله.

هذه هي كلمة الرب. الحمد لله. أيها المعلم الصالح، ماذا يجب أن أفعل لأرث الحياة الأبدية؟ لقد كان المسيحيون على مر العصور يسألون أنفسهم هذا السؤال وهم يتأملون علاقتهم بالله.

وكثيراً ما كانت الطريقة التي اختاروا أن يعيشوا بها حياتهم مختلفة تماماً عن الإجابة التي قدمها يسوع في ذلك اليوم للشباب الغني. لم يكن الشاب الغني راضياً بمجرد تطبيق التعليمات الكتابية لإتمام وصايا التوراة وكان يبحث عن عمق أكبر في المعنى في حياته. ورداً على ذلك، تحدى يسوع الشاب الغني أن يبيع ممتلكاته ويعطي المال للفقراء، فيكون له كنز في السماء.

ثم تعال واتبعني. لم يتبع الكثير من الناس في هذا العصر أو في أي عصر آخر هذه التعليمات حرفياً. إنها شاملة ومتطلبة لدرجة أنها تتطلب الطاعة الكاملة.

هذه قصة تصف أصول الحركة التي بدأها رجل من القرن الثاني عشر يُدعى والدو، والذي سعى، بعد أن واجه الوصية التوراتية، إلى العيش وفقاً لحرفية تعليمات يسوع المسيح. كان والدو، أو فالديز بالفرنسية، تاجرًا ثريًا جمع ثروته في التجارة التجارية في ليون بفرنسا في أواخر القرن الثاني عشر، وكان أيضًا رجلاً متدينًا مخلصًا.

للكنيسة الكاثوليكية. وباعتباره مواطناً ثرياً وزعيماً تجارياً ومسيحياً متديناً، كان والدو على صلة وثيقة بزعيم الكنيسة الرومانية.

تشير بعض السجلات إلى أنه ربما لعب دوراً قيادياً علمانياً في كنيسة ليون. كانت مدينة ليون المتنامية مجتمعاً ثقافياً وتجارياً مزدهراً في فرنسا في القرن الثاني عشر. كانت أيضاً مركزاً إقليمياً للكنيسة الرومانية مع أسقفها الخاص.

في السنوات التي سبقت اعتناق والدو للإيمان ليعيش حياة الفقر، كلف والدو اثنين من قادة الكنيسة، الذين كانوا على دراية باللغة اللاتينية، بترجمة أجزاء من الكتاب المقدس له باللغة الشائعة في المنطقة حتى يتمكن من قراءة ودراسة الكتب المقدسة بنفسه. كان مثل هذا الطلب غير شائع في القرن الثاني عشر، وبسبب غموضه النسبي، لم يلفت انتباه التسلسل الهرمي الكاثوليكي. لذلك، مر طلب والدو بترجمة أجزاء من الكتاب المقدس إلى اللغة العامية دون أن يلاحظه أحد من التسلسل الهرمي للكنيسة ولم يُعتبر غير قانوني.

لقد درس والدو هذه النصوص المترجمة وناقشها مع الزعماء الدينيين. ثم قام بتفسير معانيها حرفياً كما تنطبق على حياته الخاصة. ومن الخطأ أن نفترض أن الأمر كان ليكون أسهل كثيراً على والدو في القرن الثاني عشر أن يبيع ثروته ويتبرع بكل ممتلكات الفقراء ويعيش حياة الفقر مقارنة بشخص في قرننا هذا.

في القرن الثاني عشر، لم تكن هناك شبكة أمان اجتماعي غير الصدقات، أما اليوم، فيتم توفير مجموعة من الخدمات الحكومية وغير الربحية للفقراء. ولابد أن ندرك أن اتخاذ والدو لهذا القرار كان بمثابة قفزة إيمانية عظيمة بالنسبة لأي شخص يعيش في أي عصر. وهناك وثائق تاريخية موجزة عن حياة والدو واعتناقه المسيحية.

ولكن هناك بعض الحقائق التي تشكل نقاط مرجعية تاريخية. إذ تشير السجلات التاريخية إلى أنه في عام 1172، كان هناك جفاف شديد أثر على كل من فرنسا وألمانيا. وقد أدت الظروف الجوية إلى مجاعة مدمرة، كانت قاسية بشكل خاص على فقراء المنطقة.

كان والدو قد جمع ثروته من التجارة وكان رجلاً ثرياً إلى حد كبير. ففي الفترة من 27 مايو إلى 1 أغسطس من عام 1072، كان والدو فالديز يوزع إعانات منتظمة من الخبز والحساء واللحم على كل من يطلبها ثلاثة أيام في الأسبوع. وفي الخامس عشر من أغسطس من ذلك العام، في عيد انتقال السيدة العذراء مريم، قام بتوزيع الأموال على الفقراء في الشوارع، قائلاً إنه لا أحد يستطيع أن يخدم الله والمال من إنجيل متى 6. وبدأ المارة والأصدقاء الذين لاحظوا السلوك الغريب لهذا التاجر الثري يشككون في سلامة عقله.

ومع ذلك، فقد برر أفعاله بأنها انتقام من أعدائه، الذين استعبدوه للمال وخلق الأشياء، وقال أيضاً إنه فعل ذلك لتعليم سامعيه الثقة في الله بدلاً من الثروة. على نحو متزايد، اعتقد أصدقاؤه ومعارفه في العمل، بما في ذلك زوجته، أنه أصيب بالجنون تماماً. حاولت زوجته، التي كانت تقدر أسلوب حياتها الثري وطريقة معيشتها، يائسة إقناعه بتغيير رأيه وطلبت مساعدة أقرب أصدقائه للتفاهم معه.

ولكن والدو كان قد تمسك برأيه، الأمر الذي أدى إلى حدوث شرح كبير بين والدو وعائلته، وخاصة عندما بدأ والدو في اتخاذ الترتيبات القانونية لتخصيص جزء كبير من ثروته وممتلكاته لإعالة زوجته وابنتيه. ومن أجل اتباع الوصية الكتابية بالعتاء واتباع المسيح، ابتعد والدو عن عائلته، مما أدى إلى طلاق نفسه فعلياً.

لم يكن بوسعهم أن يفهموا هذا التغيير المفاجئ في حياته، ومع ذلك فقد كان يهتم بهم اهتماماً عميقاً. وأصبحت دعوته إلى التلمذة الآن محور اهتمامه الأساسي. وفي مجتمع كان أغلب سكانه أميين، لعبت التقاليد الشفوية دوراً رئيسياً في الحفاظ على تاريخه وتعليمه.

كان أكثر من 90% من سكان أوروبا في القرن الثاني عشر أميين. ولم يكن بوسع أحد سوى الأثرياء والطبقة الحاكمة أن يتحمل ترف التعليم. وفي مثل هذا الإطار الثقافي، أصبحت القصص والشعر والقصائد الطويلة الوسيلة الأساسية لنقل المعرفة والمعلومات داخل المجتمع.

لقد ركز والدو وأتباعه بشكل متزايد على أهمية التواصل الشفهي من خلال إعلان وتدرّيس كلمات الكتاب المقدس بلغة الناس. كان هذا تغييرًا جذريًا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، التي اعتقدت أن لغة الكتاب المقدس يجب أن تقتصر على اللاتينية، وهي لغة يفهمها ما يزيد قليلاً عن 1% من السكان. كان إعلان والدو لكلمة الله بلغة الناس شائعاً للغاية في البداية وحظي بقبول جيد.

ولكن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية اعتبرت فعالية خدمة والدو تهديداً، فأدانت أتباع والدو وإعلانهم العلني للكتاب المقدس. وفي عام 1184، طُرد هو وأتباعه، الذين أطلق عليهم اسم فقراء ليون، من الكنيسة. وفي وقت لاحق، في عام 1215، أُدينوا باعتبارهم هراطقة.

لقد أصبحت عملية اضطهاد فقراء ليون منظمة بشكل متزايد من قبل الكنيسة، وبحلول القرن الرابع عشر، شن الكاثوليك الرومان حملة صليبية لتدمير البدعة وكل أتباعها. وعلى مدى هذه الفترة التي امتدت لعدة مئات من السنين، ظهرت ثلاث أساطير منفصلة حول تحول والدو داخل المجتمعات الوالدنسية والتي حلت محل البيانات الواقعية المحيطة بالمجاعة التي أثرت على فرنسا وألمانيا في عام 1172. لقد تم نسيان الحقائق إلى حد كبير بمرور الوقت، ومع ذلك فإن الأساطير التي ظهرت في جميع أنحاء أوروبا الغربية في المجتمعات الوالدنسية فسرت وحافظت على ذكريات استجابة والدو للمعاناة التي خلقتها المجاعة لفقراء مدينة ليون في عام 1172.

المؤرخ والوالدنسي جورجيو تورين، مؤلف كتاب "الوالدنسيون، أول ثمانمائة عام"، الذي كتبه عام 1980، وهو قس ومؤرخ والدينسيان، حدد ثلاث قصص تتعلق باعتناق والدو للمسيحية. وكوسيلة للحفاظ على تاريخ شعب الوالدنسيين ونقله، من المهم بالنسبة لنا أن نأخذ في الاعتبار كل من هذه القصص لأنها توضح درجة من السيولة التي تحيط بالكثير من أصل وتاريخ حركة الوالدنسيين المبكر. ومن الضروري للقارئ أن يفهم الدور المهم الذي لعبته الأساطير في خلق تاريخ الوالدنسيين، كما سنرى في عظة لاحقة، والتي تتناول دور صناعة الأساطير في فهم أصول حركة الوالدنسيين.

لعبت القصص دوراً مهماً في ترسيخ وتعزيز هوية شعب الوالدنسيين وعزيمتهم على الإيمان في أوقات الاضطهاد الشديد. ومن المثير للاهتمام كيف تعمل هذه القصص الثلاث على تعزيز الحقائق التاريخية التي تم الكشف عنها في القرن الماضي. وتقدم القصص الثلاث نظرة ثاقبة للسياق الثقافي لحياة والدو.

القصة الأولى. في أحد الأيام، توقف والدو للدردشة مع الأصدقاء بعد القداس، فسمع منشداً موسيقياً يجوب الشوارع ويغني بينما كان يرافقه على عوده. غنى المنشد الموسيقي قصة عن حياة القديس أليكسيس، الابن الثري المدلل لعائلة نبيلة.

في ليلة زفافه، وفي ظل شعوره بالذنب إزاء ثروته وأسلوب حياته المترفع، اتخذ أليكسيس قراراً مفاجئاً بترك عروسه والتوجه إلى الحج إلى الأراضي المقدسة للتكفير عن ذنبه. وهناك، ونتيجة لحياته التي امتازت بالحرمان من الذات والمعاناة، أصبح مشوهاً للغاية لدرجة أنه بعد سنوات، لم يتعرف عليه أحد عند عودته إلى مدينته الأصلية. وبعد أن أصبح منبوذاً باعتباره فاسقاً بلا مأوى، تُرك وحيداً ليموت تحت سلم في المدينة، ولم يعرف أحد هويته حتى بعد وفاته.

تقول الأسطورة إن والدو أعجب بأغنية هذا المغني لدرجة أنه دعا المغني إلى بيته لتناول الطعام وقضاء الليل هناك. وعندما سمع والدو الأغنية مرة أخرى، بدأ يدرك هويته في القصة وبدأ في إجراء تغييرات تخلت عن حياته السابقة المليئة بالرفاهية. في القرن الثاني عشر، كان المغنيون المتجولون، أو ما يسمى أيضًا بالشعراء الغنائيين، يتمتعون بشعبية كبيرة في أوروبا.

ومع انتقال موسيقاهم وقصصهم من مدينة إلى أخرى، نشروا أفكاراً جديدة وحتى أساليب جديدة في الحديث وهو ما أثر على الطبقات الغنية والتجارية. وكان أحد الموضوعات السائدة التي نقلتها أغاني التروبادور هو مفهوم الحب البلاطي، الذي ارتقى بدور مظاهر الحب الطقسية العلنية في العلاقات والزواج. وفي نهاية المطاف، عزز مفهوم الحب البلاطي درجة أكبر من المساواة بين الأزواج المتزوجين مقارنة بما كان موجوداً في المجتمع حتى تلك النقطة، ولكنه قلل أيضاً من أهمية دور الأنثى العازبة وأخضعه.

كانت التلميحات الجنسية والدراما في العلاقات بين الذكور والإناث من الموضوعات التي تناولتها موسيقى الشاعر. ونظراً لشعبية الشعراء الغنائيين في حياة والدو، فإن هذه القصة معقولة بالتأكيد، لكنها لا تأخذ في الاعتبار سياق المجاعة التي أثرت على المجتمع في وقت اعتناقه للإسلام. القصة الثانية

،ولأنه كان تاجرًا ثريًا ومحافظًا بحشود من الفقراء كل يوم، فقد أصبح والدو مع مرور الوقت مضطرب الضمير، فطلب النصيحة والحكمة من أحد أصدقائه الذي خدم الكنيسة ككاهن ولاهوتي. وبعد محادثة طويلة جدًا سئم الكاهن من استفسار والدو المتواصل واقترح عليه أن يقرأ إنجيل متى 19، الآية 21، حيث يطلب يسوع من شاب ثري حاكم أن يذهب ويبيع ممتلكاته ويأتي ويتبعه. كان لهذه الكلمات تأثير قوي على والدو لدرجة أنه اتبعها حرفيًا، متعهدًا بأن يتوافق حياته حرفيًا مع أوامر يسوع.

وتسلط القصة الثانية الضوء على العلاقات المستمرة التي كانت تربط والدو بزعماء الكنيسة الكاثوليكية في ليون. فباعتباره تاجرًا ثريًا، كان والدو راعيًا للكنيسة وزعيمًا علمانيًا، وربما كانت مثل هذه المحادثة، أو حتى سلسلة المحادثات مع الكهنة وغيرهم من القادة المكرسين، قد حدثت بينما كان والدو يكافح من أجل إيجاد شعور بالدعوة في حياته. وفي هذه القصة، يركز الكتاب المقدس بشكل مباشر على المقطع ذاته الذي كان له دور فعال في قرار والدو بتحويل حياته إلى تعبير أكثر تطرفًا عن الإيمان المسيحي.

ومع ذلك، فإنها تغفل الكثير من التفاعل المباشر الذي كان بين والدو والفقراء بين مايو وأغسطس من عام في معالجة المجاعة التي تسببت في الكثير من المعاناة للأشخاص من حوله. القصة الثالثة. فقد والدو 1172 صديقًا شخصيًا مقربًا كان زميلًا له في التجارة في ليون.

توفي صديق والدو فجأة أثناء مأدبة كانا يحضرانها. حزنًا على فقدان صديقه وتأملًا في معنى فناءه، سأل والدو نفسه، ماذا لو فاجأني الموت بنفس الطريقة؟ هل ستكون روجي مستعدة للرحلة؟ بعد أسابيع من البحث في الروح، قيل إنه اتخذ قرارًا بالتخلي عن كل ثروته ومشاريعه التجارية. وبناءً على ذلك، اتخذ والدو قرارًا ببدء حياة جديدة خالية من زخارف الثروة والممتلكات الشخصية.

في هذه القصة، يشكل التركيز والدافع وراء موت والدو الدافع الأساسي الذي يؤثر على أفعاله، مما يخلق أزمة إيمان وهوية مدفوعة بإحساس بحتمية الحكم الإلهي. والطعام موجود مرة أخرى في هذه القصة، وهو يلعب دورًا مهمًا في تحول والدو لأنه مأدبة تجمع والدو وصديقه في نفس اللحظة التي يموت فيها صديقهما. لكن القصة تتحدث عن أزمة وجودية وتغفل أي ذكر لدور الكتاب المقدس في توجيه تحول والدو الروحي.

إن كل واحدة من هذه القصص التي تدور حول الأصل الأسطوري لاعتناق والدو المسيحية وبداية الحركة الوالدنسية تنقل لنا أهمية سرد القصص في ثقافة كان أكثر من 95% من سكانها أميين. ففي منطقة نفوذ تمتد من جنوب فرنسا إلى شبه الجزيرة الإيطالية، ومن شمال وسط ألمانيا إلى النمسا وبوهيميا، انخرط الوعاظ

الوالدنسانيون الذين حفظوا كتباً كاملة من الكتاب المقدس في الخدمة المتنقلة، حيث كانوا يسافرون في أزواج ويستخدمون سرد القصص لنقل الإنجيل. ورغم تنوع هذه القصص الثلاث فيما يتصل باعتناق والدو المسيحية، فإن كل منها يبرهن على رغبة جادة في تثقيف الأجيال اللاحقة فيما يتصل بأصول إيمانهم حتى يفهم كل مؤمن العوامل المميزة التي تميز تفسيره للمسيحية عن تفسير الروم الكاثوليك.

في الامتداد الجغرافي والثقافي الشاسع لأوروبا، حيث عاش أتباع هذه الحركة في مجموعة متنوعة من الثقافات المختلفة وتحدثوا لغات مختلفة، فليس من المستغرب أن تكون هناك روايات متعددة لاعتناق والدو المسيحية. وعندما يتم تقييمها من حيث الموضوعات المتشابهة، فإنها جميعها تنقل قرار والدو بالتخلي عن حياة الثراء والترف النسبي، واحتضان حياة الفقر، وإعلان الإنجيل للعامة. وتشير كل من هذه القصص الثلاث إلى اعتناق شخصي بعيداً عن أسلوب حياة خدمة الذات نحو حياة جديدة جذرية تتمثل في احتضان الفقر. ونشر الإنجيل وخدمة احتياجات الفقراء.

عند فحص الحقائق التي ظهرت فيما يتعلق بالسياق التاريخي لمدينة ليون في عام 1172، فمن المعقول أن تعكس عناصر هذه القصص الثلاث ما حدث لإحداث التحول الجذري في حياة والدو. ومع ذلك، سواء تم نقل هذا التحول في إحدى القصص المذكورة أعلاه أم لا، فقد حدث بعد فحص الكتب المقدسة والانخراط في فترة من البحث العميق في النفس. ومن خلال هذه العملية، توصل والدو إلى فهم جديد للحضور الحي واعترافه الشخصي بدعوة يسوع المسيح.

جورج أوتورن في تحليله لهذه القصص إلى أن هناك نتيجتين متميزتين للغاية نتجتا عن تحول والدو نفسه أولاً، يجب أن يكون الإنجيل الذي تم شرحه في حياته متاحاً لجميع الناس، مما يمنحهم فرصة خاصة بهم للاستجابة. ثانياً، كانت الدعوة إلى التلمذة كما فسر الأوامر الكتابية من متى 18 لنفسه وأتباعه تعني تجريد نفسه تماماً من الثروة والممتلكات وإعادة توجيه نفسه لاستخدام الممتلكات والثروة لتخفيف احتياجات الفقراء عندما يصبحون أيضاً فقراء.

لقد عكست استجابة والدو قوة حياة القيامة، والتي لم تؤثر على حياته فحسب، بل أثرت أيضاً على حياة العديد من الأشخاص الذين سمعوا رسالة الإنجيل بأنفسهم واستجابوا بنذر الفقر والاستعداد للانخراط في الإعلان العام للإنجيل. في حياة والدو وشهادة الإيمان، تم تأسيس وبدء الشهادة الأقدم والمنظم باستمرار للتفكير والممارسة المسيحية قبل الإصلاح. وعلى الرغم من الجهود المتضافرة التي بذلتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لتدمير هذه الشهادة الفريدة للإيمان المسيحي، إلا أنها استمرت وسادت حتى فجر الإصلاح البروتستانتي بعد 350 عاماً.

من الجدير بالذكر أن الاسم الأول بيتر، الذي غالباً ما يُدرج عند الإشارة إلى والدو، لم يُدرج كجزء من اسم والدو في أي من الوثائق التي نشأت في حياته. ولم يُنسب اسم بيتر إلى والدو لأول مرة إلا بعد 200 عام، في القرن الرابع عشر. ويعتقد المؤرخون أنه خلال ذروة الاضطهاد ضد الوالدنسيين، كان الوالدنسيون حينها هم من نسبوا اسم بطرس، الذي كان بالمناسبة أول وأهم تلميذ ليسوع المسيح.

وبإسناد هذا الاسم إلى والدو كوسيلة لإضفاء الشرعية على والدو والحركة الوالدنسية، وربطهما بأصول الإيمان المسيحي وزعيمه الأول الرسول بطرس بعد صعود السيد المسيح. وقد أصبح هذا الإشارة إلى الكنيسة الأولى وإحياءاتها بأن الحركة ترتبط بالخلافة الرسولية مصدراً مهماً للقوة والإقناع للوالدنسيين المضطهدين. عندما وصفتهم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والثقافة المحيطة بهم بالهرطقة وسعت إلى تدميرهم بالكامل وفي مواجهة محاكم التفتيش وغيرها من أشكال الاضطهاد من جانب الكنيسة الرومانية، وجد الوالدنسيون العزاء في التأكيد على الروابط مع أصل الكنيسة المسيحية، التي تعرضت أيضاً للاضطهاد من جانب القوى الحاكمة في عصرها.

يتم استكشاف فكرة الخلافة الرسولية وأصول الإيمان الوالدنسي بشكل أكثر شمولاً في عظة بعنوان "خارج ظلال التاريخ" في هذه السلسلة.

.هذا هو الدكتور كيفن فريدريك، الذي يدرس تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة الأولى، جذور تحول والدو